"ليلة والذئب "

قبل أن يؤذن المؤذن لصلاة الفجر ويمتليء الشارع بالمصلين ، أغلقت باب منزلهم بحرص شديد، وقبل أن تذهب إلي مصيرها المجهول ألقت نظرة شريعة على الحيّ كأنما تودّعه،،

كانت تربت على بطنها بلطف وحسرة،

مريم التي لم تكن تبلغ حينها السابعة عشر ،، كانت تحمل طفلا في أحشائها ، وهما فوق ظهرها، و كوابيسا في أحلامها الخضراء التي لم تأذن الدنيا أن تنضج ،

كانت تبالغ في لوم نفسها، تلعن الطرقات التي حملتها في ذلك اليوم المشئوم، تلعن أباها الذي أتى بها إلى الدنيا ، تلعن نفسها لأنها أنثى ،

كانت تتذكر الحدث بضبابية ، تتذكر الليلة المشئومة التي غاب فيها أخوها الصغير وانطلقت في الشوارع تبحث عنها ، حتى قابلت الديب ، فتى خبيث تتوسط وجهه أنف كبير ،

أخبرها بأنه يعلم مكان أخيها ، وكان خوفها على أخيها يومئذ أكبر من خوفها من الديب ، ذهبت معه ،

ثم ...

لا تدري ماذا حدث لكنها استيقظت في منزل مهجور ، فاقدة كل ما تملك !

كانت ستصرخ لكنها استوعبت انها يجب أن تداري الفضيحة ،

لم تكن تعلم كم من الوقت قد مضى لكن لحسن الحظ لم يكن مضى سوى سويعات قليلة ،

عندما رجعت البيت كان الجميع في انتظارها بما فيهم ابراهيم بعدما وجدوه،

ابتسمت بوهن ، واخبرتهم أنها ابتعدت في البحث عنه ولم تدرك أن الوقت قد تأخر

وحتى هذه اللحظة لا تعلم كيف انطلت عليهم حيلتها

أم أنهم أرادوا التصديق ،

..

اشرق الصباح على مريم الهاربة ، وهي في طريقها إلى القاهرة، على أمل أن تضيع في الزحام، ألا يدري عنها أحد ، أن تتخلص من عين جارتها العجوز التي انتبهت إلى أعراض الحمل لديها،،

تهلع عندما تتخيل كيف ستقلق أمها عليها ، ثم تهدأ حينما تتذكر الرسالة التي تركتها لهم قبل رحيلها ،

عندما فتح أبوها الرسالة تأكدت شكوكه، ودمعت عيناه عندما

وصل لختماها "أبي أعلم أنك حلمت أن أصير طبيبة لكن الذئب قتل حلمي ، ولأن الناس تموت مع أحلامها فاعتبرني من الأموات وأقم لي عزاء ،

وسامحني ، سامحني لأنني لم أستطع الحفاظ على نفسي من أنياب الذئاب " ،

عندما انتهى اطلق شهقة خرجت على إثرها الأم من المطبخ ، واستيقظت الأخت من عمق نومها،

ولم يستطع هو سوى أن يقول "ماتت مريم ، ماتت مريم ".

لنعلم بعدها أنه انزوى شهر كامل لا يكلم الناس ، ولا يأكل الا ما يبقيه على قيد الحياة ،

لم يتكلم حتى ليطمئن الأم المكلومة، ولا الأخوة الباكين،

كان لمريم أحلام ، وكانت مريم حلمه الأول و ثمرة فؤاده الأولى،.

يتمنى لو أنها تعود ويتمنى ألا تعود حتى لا تضعه في موقف أخلاقي صعب

رجل صعيدي ابنته تحمل بدون زواج ، من سيصدق أن طفلته بريئة،

وكيف عن مستقبلها ومستقبل أخواتها ،

فآثر الصمت ، ورغب لو يصمت طوال العمر لكنّ دوره كأب أجبره في وقت لاحق على الحديث،

..

بعد مرور شهر كانت مريم قد وجدت عمل كنادلة في أحد المطاعم، وكانت تحرص على ارتداء دبلة "دهب صيني" ، حتى تصرف عنها أيادي الرجال ، والسنة النساء ،

أخبرت الجميع أنها أتت مع زوجها من الصعيد للبحث عن فرصة عمل ،

كان زوجها الخيالي يعمل نقاشا، أسمر، طويل ، له عيون بنية جميلة ..

وكانت الشخصية التي اخترعتها تدعى فاطمة ، لم تكمل تعليمها ، زوجها ابوها لابن عمها لأن هذا عرف عائلتهم،

لم ترد التخلص من اللهجة لأنها آخر شيء يذكرها بهويتها، بأهلها ، بحلمها المجهض ، وثأرها الذي ينمو يوما عن يوم ،

رجعت إلى غرفتها برجل متورمة ،

كانت غرفة متواضعة فوق السطوح ، استأجرتها عن طريق أحد السماسرة الذي أكرمها لأنها بلدياته،

وككل يوم تضع مريم رأسها على المخدة وتردد " أنا مريم ، طالبة بالصف الثاني الثانوي ، أريد أن أصبح طبيبة ، أنا لست فاطمة ، لست متزوجة لكنني سأصبح أما لطفل ، هذا الطفل ليس له ذنب لأن ابوه ذئب "،

وتظل تردد هذه العبارات حتى يغلبها النوم، لتستيقظ في اليوم التالي وتكرر نفس اليوم ،

،

مر شهران وبدأت بطنها في الظهور حينها قررت لأول مرة أن تذهب لطبيبة نساء ،

كانت تنظر إلى الأمهات متحسرة على حظها العثر الذي أوقعها في هذا الوحل ،

وعندنا أتى دورها أخذت دقيقة حتى تستوعب أنها مدام فاطمة عبد المنعم ،

أخبرتها الطبيبة أنها تحمل بفتاة ، وكتبت لها بعض الفيتامينات ، وأخبرتها بموعد المتابعة،

قررت مريم أن تسميها "ليلة"، نعم "ليلة" وليس ليلى ، لأنها نتاج ليلة مشؤومة ،

وكانت تمتلك مشاعر مختلطة تجاهها، لا تدري اتحبها لأنها قطعة منها ، أم تكرهها لأن نصفها سليل الديابة،

مرت الأيام بطيئة ثقيلة على أقدام مريم المتورمة ، وقلبها الخائف من المستقبل ،تحديدا لحظة الولادة ، من سيكون معها هل سيشفق عليها الجيران ؟

ثم تتذكر أنها لم تكون علاقات مع أي شخص حتى لا يسألها من تكون،

كانت تفكر في لحظة الولادة كل يوم ، وعندما قررت أن تأخذ هدنة من التفكير ، جاءها المخاض،

حينها كانت تسير في الشارع عائدة إلى المنزل ،

و نقلها ولاد الحلال إلى المشفى ، كانت ولادة متعسرة اضطر الأطباء أن يشقوا بطنها حتى يحصلوا على الطفل ،

وعندما استيقظت من البنج تخيلت أهلها حولها ، تمنت لو أنها فعلا فاطمة عبدالمنعم، وزوجها نقاش، وأنها لم تذل رأس أبيها،.

لكنها ظلت أمنية،

لا تعلم مريم كم من الشهور كانت قد مرت حينما وجدت نفسها تضع "ليلة" بجوار مسجد تاركة في جيبها ورقة مكتوب عليها" ليلة الديب"،

.

مرت سنين ، كبرت فيهم ليلة شيئا فشيء ،

لم تستطع مريم فيهن أن تراها إلا بضع مرات ، لم تتمكن من رؤيتها تحبو ، لم تسمع كلمة ماما ، لم تمسك يدها أو تشمها،

كان جزء منها يتمزق لأنها تشتاق لابنتها، والجزء الاخر يتمزق حينما ينتابها شعور الكراهية تجاه ليلة، وفاطمة و الحياة الجديدة التي لم تجد مريم فيها نفسها

في النهاية

عادت إلى القرية لتلقى مصيرها ، الغريب أنه في طريقها للمنزل عندما أخبرت سائق التوكتوك أن يذهب بها إلى عنوان بيتها

أخبرها بتعجب " اه تقصدي شارع الست مريم"

حاولت أن تخفي علامات الاستغراب وأخبرته أنها كثيرا ما تنسى أسماء الأماكن

لكنه لم يصمت وألح عليها أن يحكي لها قصة الشارع ، ثم أخبرها بصوت كله حماس

" من كام سنة كدا ، كان فيه بنت عايشة مع أهلها هنا ، وفي يوم كانت بتدور على اخوها و اختفت ، ابوها لف عالشيوخ كلها عشان يرجع بنته بس كلهم قالوله أن الجن خطفها وأنها بقت ملكة هناك ودخلت العشيرة الإسلام ،بس ومن ساعتها ابوها بنالها مقام وسماه مقام الست مريم ، اي حد نفسه في حاجة بيروح يدعي هناك والست بتعملهاله "

لم تستطع مريم أن تكتم ضحكتها ليفاجئها قائلا " ما تضحكييش ، تعرفي ان فيه واحد كان بيتمسخر عالست وتاني يوم لقوه ميت في خرابة ، كان اسمه سيد ... سيد الديب "